إلى الأشقاء الأعزاء

توجهت بالأمس إلى حضرات الأشقاء ضيوف مصر الآن بكلمة شرحت لهم ما هم به جد عليمون من برنامج مصر الشقيقة نحو الوحدة التى رأتها خير نظام للوادى. ذلك البرنامج الذى أعلنه حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا من فوق منبر البرلمان فى أكتوبر الماضى.

وإخواننا أعزَّهم الله يعلمون عن يقينٍ أنَّ هذا البرنامج لم يكن برنامج وزارة الوفد وحدها، بل كان برنامج مصر كلها من وفديين وغير وفديين، فنحن هنا فى مصر مهما اختلفت هيئاتنا وأحزابنا في بعض الشئون فإننا فى شأن القطر الشقيق متفقون على أنه القطر الشقيق الذى له ما لنا من حقوقٍ نحب له ما نحب لأنفسنا ونتمنى له مثلما نتمناه لنا من الحرية التامة والحكم الديمقراطى السليم.

وكيف لا يكون حالنا نحن الأخوين الشقيقين كذلك ونحن قد وحدتنا الطبيعة واللغة والدين.

وكيف لا نكون كذلك وآمالنا فى الحياة واحدة. وآلامنا أيضًا واحدة، فكلانا مصاب بالاحتلال الإنجليزى يعانى من ويلاته ويشقى بعسفه وجبروته، ويعمل على الخلاص منه، ويتمنى زواله فى لمح البصر.

ولعلَّ أخطر شىء علينا نحن الطرفين أن يخدع هذا الأجنبى الغريب عنا أحدنا، فيصور له أنه أكثر حنوًا عليه من أخيه. وأكثر غيرة عليه من أخيه والأجنبى المستعمر فى هذا كاذب مخادع لا يرمى إلا إلى تحقيق أغراضه وتثبيت أقدامه ليستمر متحكمًا ومستغلًا لا تهمه حرية الشعوب ولا حقوق الإنسان.

هذا الأجنبى يريد أن يبقى فى مصر والسودان ليستمر على الانتفاع بخيرات الوادى شماله وجنوبه. وليجد فى هذا الوادى الأيدى العاملة تسعفه بسواعد أبنائها إذا جدَّ الجد، ويجد الزاد والعتاد يمون جيوشه وأساطيله إذا حزبه الأمر.

أما دعواه الحب للأخوين أو أحدهما أو الغيرة على الأخوين أو أحدهما فوهم ولعب بالعقول وعبث بالأفهام.

ولقد أعرف أنَّ إخواننا السودانيين ذوو إيمان وعقيدة راسخة، ولهذا فلن أصدق أو أعتقد أنهم يخدعون بخدع المستعمر الدجال أو يأمنون جانبه والله تعالى يقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾. (آل عمران: 118)

فإذا وضع إخواننا سياستهم على أساسٍ سليمٍ من وجوب التخلص من المستعمرين أولًا نجوا ونجونا معهم وانتهى الأمر إلى خلاص الوادى من طامة الاحتلال الأجنبى وأصبحنا بحمد الله أحرارًا. وما أيسر ما تسوى الأمور بيننا ولن يكون فينا غالب ومغلوب ولا غابن ومغبون فكلانا أولى بأخيه.

فلنتفق أولًا على التخلص من الدخيل حتى إذا خلا منه الميدان فما أسرع أن نتفق، بل إننا سنجد أنفسنا ولا خلاف بيننا.

وأى خلاف يكون هناك بيننا وكل منا فى قطره فى حدود الحكم الذاتى سينعم بإدارة شئونه وفقًا لما يراه لا يقيده قيد ولا يقف فى طريقه أحد.

ويبقى أن نكون وحدة موحدة تحت التاج المصرى لنصبح أمام العالم قوة ذات عزةٍ ومنعةٍ فإذا دهمنا أحد قمنا ندفعه عنا كالبنيان المرصوص.

إننا فى حاجة إلى عون إخواننا فى السودان وإخواننا فى حاجةٍ إلى عوننا. فلتكن

سياستنا أن نتعاون معًا على التخلص من الخصم المشترك أولًا وقبل كل شىء.

ولعلَّ خير ما أختم به كلمتى هو أن أضع أمام أنظار حضرات الأشقاء السودانيين عبارة وردت فى خطبة سعادة الدكتور محمد صلاح الدين باشا وزير خارجية مصر السابق فى جمعية الأمم المتحدة فى 16 نوفمبر الماضى.

قال سعادته: «الواقع أنَّ الإنجليز لم يريدوا خيرًا لمصر حينما كانوا يعترفون بأنهم يحكمون السودان باسمها ولحسابها ولا هم يريدون الخير للسودان وهم يدعون أنهم يعملون على تمتعه بالحكم الذاتى وتقرير المصير، ولكنها خديعة يرمون بها إلى استمرار حكمهم فى السودان لأطول مدة ممكنة يتسع لهم فيها مجال العمل به منفردين تحت ستار مشيئة السودانيين، ودليلنا على ذلك أنَّ كلامهم المعاد عن الحكم الذاتى تمخَّض عن نظام الجمعية التشريعية التى لا حول لها ولا سلطان، بينما أرادت مصر للسودان هيئة تشريعية تتمتع بنصيبٍ وافرٍ من السلطات وتكون ممثلة للسودانيين خير تمثيل، ثم إننا حينما سألنا البريطانيين رأيهم عن المدة التى يتمتع بعدها السودان بحكم ذاتى صحيح تراوح تقديرهم بين خمسة عشر عامًا وعشرين عامًا، بينما تقدِّر مصر لذلك عامين اثنين معتمدة فى تقديرها على ما قضت به الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى شأن ليبيا. وليس السودان أقل استحقاقًا منها للحكم الذاتى.

فليتنبه إخواننا السودانيون وليحذروا ألاعيب الإنجليز ودسائس الإنجليز فكلانا أولى بأخيه وعلينا أن نعقد الخناصر على استبعاد الأجنبى وطرده أولًا والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه.